العهد

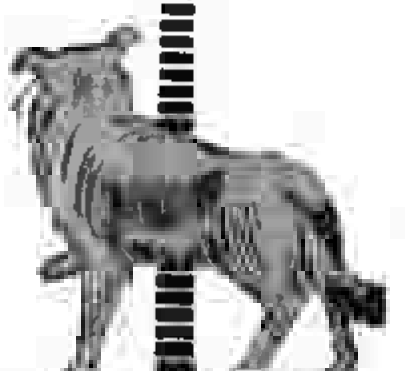

تأليف : موريل كالاهان

ترجمة : رمزي يسى

في ذلك الصيف قدم لوك بلدوين الى منزل عمه هنري لكي يعيش معه ، ولم يكن آنئذ قد تجاوز الثانية عشرة من عمره . وكان بيت عمه يطل على مجرى ماء صغير بالقرب من طاحون هوائي لقطع الاخشاب ، ولم ينس « لوك » انه وعد والده قبل موته أنه سيحاول أن يتعلم من عمه أشياء كثيرة . ولذا عكف على ملاحظته ومراقبة طريقة حياته وتصرفه بكل دقة .

وكان العم هنري الذي يدير هذا الطاحونة ضخم الجسم ، يزيد وزنه على مائتين وثلاثين رطلا ، ذو بشرة سمراء وجه داكن صار الى الحمرة، تبدو عليه مظاهر القوة وان كانت صحته ليست على ما يرام ، فقد كان يشعر بآلام في عنقه وظهره حيرت الأطباء . وكان أول شيء عرفه لوك عن العم هنري انه موضع احترام الجميع، وكان الرجال الأربعة الذين يستخدمهم في أعماله بالطاحون يمتازون بأخلاق حميدة ويصدعون لأوامره وارشاداته. أما زوجته العمة هلين ، فقد كانت سيدة صريحة عادلة في معاملة لوك ، ولم يحدث أن لجأت مرة واحدة الى الثرثرة معه أو مناقشته مناقشة حادة .. كانت تنصحه دائما بأن يحذو حذو عمه وتتشبه به ، فتقول له في كثير من الأحيان : انه رجل عملي الى أقصى حد ، يعمل كل شيء بطريقة واقعية بسيطة .

وكان لوك يسير وراء عمه في تجواله حول الطاحون لا لرغبته في التمتع برائحة الخشب الحديث القطع

وحسب ، بل كان يحب أيضا ان يستمع الى لهجة عمه الموجزة الحاسمة مع عمال الطاحون ، والى نصائحه التى يسديها اليه بين الحين والحين ، كان يقول له وهو يمسك بقطعة من الخشب « حاول دائما ياصبى ان تعرف الحقائق الضرورية عن كل شىء وبذلك تستطيع فى يسر ان تميز بين الصالح منها وغير الصالح فلا يستطيع احد أن يخدعك » ويعرر رايه هذا بانه يعرف النافع من بقايا الخشب وغير النافع ، وهو امر لا يتقنه الا القليل من الناس . وانه وحده الذى يعرف الأغراض التى تستخدم فيها كل قطعة من الخشب مهما كانت صغيرة . ولقد ادرك العم هنرى ان لوك محتاج الى دراجة يذهب بها الى المدرسة ولذا اشترى له واحدة متينة ، كما اشترى له ملابس قوية الاحتمال . وكان يعرف ماتحتاجه الصبة هيلين من مال لادارة شئون المنزل ، وانمان كل شىء من مطالب الحياة اليومية ، حتى أجرة غسيل الملابس . ويحمل فى سترته دائما كراسة سوداء يسجل فيها كل مساء جميع ما يصرف فى المنزل اثناء النهار .

تطع لوك على نفسه عهدا ان يكون على غرار عمه حين يكبر ، موضع تقدير الناس واحترامهم نتيجة لحسن تدبيره وتقديره للأمور ، ولكنه لم يستطع بطبيعة الحال أن يظل دائما ملتصقا بعمه هنرى ليراقبه عن كثب ، فكثيرا ما كانت دكرياته الأولى عن والده تصرفه عن ذلك ، ويلوذ بالوحدة والعزلة ويحيا حياة أخرى باطنة ، حياة خاصة به تدور حول كلبه « دان »

... وهو كلب صيد مجوز اعور ، رجله اليسرى الخلفية عرج خفيف ، وقد تقدمت به السن فاصبح بطىء الحركة كسولا ، ولكنه كان ودودا الى ابعد حد ، وعينه الوحيدة فى لون الكهرمان ، وكذلك كان لون شعره . وهو يتبع « لوك » كلما ذهب الى المدرسة صباح كل يوم مسافة نصف ميل او نحو ذلك . واذا ما عاد لوك من المدرسة وجد صديقه المحبور فى انتظاره عند باب المنزل .

كانا يلعبان أحيانا حول بركة الطاحون او يتجولان الى ادنى المجرى حتى يصلا الى البحيرة . وكان هناك زورق قديم بركناه معا ليمثلا دور القرصان فيصبح لوك باعلى صوته حين يصدر تعليماته الى الكابتن «دان» فكان الكلب يهز ذيله فى حماسة كأنه فهم كل شىء ... ويكاد يبدو هذا فى عينه الكهرمانية التى تشع ذكاء ويقظة . ثم يوغلان فى خرج من الأحراج على الجانب الآخر من المجرى ليمثلا دور صيادى الوحوش اذ لم يعد العم هنرى يستخدم « دان » فى صيد الأرانب البرية أو غيرها بعد أن ادركته الشيخوخة . فاذا ما خرجا من الغابة وقفا سويا على الشاطىء الرطب المعشوشب يتبادلان المزاح . وكان لوك يتحدث اليه فى لهجة جادة أحيانا ويخيل اليه ان الكلب يهش له بعينه التى تعبر عن الطيبة والود ، ويقص على «دان» اشياء كثيرة لا يستطيع ان يحكيها لعمه أو زوجة عمه ... لم يكن ما يقوله شيئا ذا بال . بل حديثا عاديا ربما كان يقوله لوالده أو والدته

لو كانا على قيد الحياة - فاذا ما حان وقت العشاء عادا الى المنزل ليخرجا ثانية بعد الأكل الى منزل معلم « كيب » المحور لمصحباه اثناء نزهته مع بقراته الأربع فيسر لرؤيتهما وهما يدوران حول بقراته كأنهما يرعيان قطيعا كبيرا على سفوح جبال (روكي)

لم يعد العم هنري يعير الكلب اهتماما قط ، بل قال مرة وهو يجلس في شرفة المنزل « باله من محور مسكين ... لقد أصبح كما مهملا لا فائدة منه على الاطلاق ... انه يأكل وينام ويتسكع في الطرقات وحسب »

وفي يوم من أيام الأحد ، أثناء عطلة « لوك » الصيفية خرجوا جميعا الى الشرفة وكان « دان » نائما هناك ، فجلس « لوك » على السلم متكئا على عمود الشرفة ، وجلس العم هنري في مقعده الهزاز . أما العمة هيلين فقد تمددت في أرجوحتها وأخذت تغني في رضاء وحبور . وعندما وقع نظر « لوك » على الكلب ضرب الأرض بكفه ثلاث ضربات اشارة للكلب الذي رفع رأسه على الفور ثم نهض متثاقلا وهو يتمطى بدلال كأنه يعرف كلمة السر ، واخذ يسير الشرفة متجها الى لوك ، وكانت عينه العوراء ناحية المقعد الهزاز وهو يسير شبه نائم ، فجلس الكرسي الهزاز قدمه اليسرى العرجاء ، وعوى المسكين عواء الألم ، وأسرع الى أحد اركان البناء وهو يتلوى ، ثم توقف عن السير حين سمع وقع اقدام « لوك » في اثره ، ولم يكد يرى رأسه مواسيا حتى أخذ المسكين يلمق يده بحركة رتيبة كأنه يعتذر اليه .

وناداه العم هنري بصوت جاف - « لوك ! هات هذا الكلب »

وعندما قاد لوك « الكلب » الى الشرفة تنهد العم هنري وهو يقول : « شكرا يالوك » ثم أخرج سيجارا ضخما فاشعله ووضع يديه المكتوفتين الثقيلتين على مقعديه ، وأخذ يهز مقعده دون أن يحول نظره عن الكلب ... ولا شك انه كان يعد قرارا هاما بشأنه .

وسأله لوك في قلق « ماذا تريد ياعم هنري ؟ »

فقال « ان هذا الكلب لم يعد يرى شيئا قط »

فاجاب لوك بسرعة ولهفة « حقيقة لم يكن بوسعه أن يرى لأن عينه العوراء كانت ناحية المقعد ... هذا كل ما في الأمر ياعم هنري ! »

واضاف العم هنري دون أن يكترث لاجابته ! « وقد ذهبت أسنانه أيضا » ثم التفت ناحية الأرجوحة وقال : توقفي لحظة عن هزك عن الاهتزاز يا هيلين » فلما نهضت ووقفت بجانبه تابع حديثه قائلا :

« كنت أفكر في أمر هذا الكلب المحور منذ حين يا هيلين ... انه ليس على وشك الموت وحسب ، بل انك لتلاحظين أنه لا يكاد ينبح »

« حقيقة ياهنري ، انه لا ينبح »

« وهو لا يصلح الآن حتى لمجرد الحراسة »

« انه محور مسكين ... اليس كذلك ؟ »

« وهو لا يصلح كذلك للصيد ، كما انه ياكل كثيرا ، ولقد اعتقد ... »

« انه ياكل كما كان ياكل دائما ياهنري !! »

« الحقيقة الواضحة هي أن هذا الكلب المحور لا يستحق الاحتفاظ به اكثر من ذلك ، ولقد حان الوقت لكي نتخلص منه »

« ولكن طريقة التخلص من الكلاب صعبة جدا يا هنري »

« لقد كنت افكر في طريقة ما منذ حين ... ان بعض الناس يرون أن خير طريقة للتخلص من الكلاب هي رميهم بالرصاص ، غير أن يندفيتي عاطلة من الرصاص منذ اكثر من عام واستخدام السم طريقة قاسية بالنسبة للكلب ، وقد يكون اغراقه في النهر أيسر طريقة ....انني سأتحدث في هذا الشأن مع عمال الطاحونة لكي يقوموا هم بهذه المهمة »

وصاح لوك وقد أحاط عنق الكلب بذراعيه : « ان دان كلب مدهش ياعم هنري ! وانك لا تدرك مقدار ما فيه من وفاء ورقة وذكاء ! »

واجاب العم هنري بهدوء : « لقد اصبح عجوزا جدا يا بني ، وقد حان الوقت للتخلص من أي كلب عجوز .. يجب ان يكون موقفا منه واقعيا ، وساحضر لك جروا يا بني ... كلا لطيفا يستحق الرعاية ... جروا يكبر معك »

وصاح لوك وهو يشيح بوجهه : « لا اريد جروا »

وبينما كان لوك يحيط الكلب بذراعيه ، كان الكلب يشيح ويلعق بلسانه الأحمر عنق لوك . أما العمة هيلين فحين تطلعت الى وجه زوجها اشارت عليه بالصمت فلا يتابع حديثه امام الصبي وقالت له :

« ان كلبا عجوزا كهذا من عادته ان يلوذ بمكان أو خرج من الأخراج حيث يجد هناك مكانا يموت فيه حين تقترب نهايته ، أليس الأمر كذلك يا هنري؟»

فأجابها بسرعة : « حقيقة ، حقيقة ... لقد ظننت انه فعل ذلك حين غاب عن المنزل منذ أيام ، ثم تنهد وبدا عليه كانه نسي كل شيء عن الكلب .

ولكن لوك أصيب بهلع شديد لانه يعرف من هو عمه ، وأي طراز هو من الناس . لقد عرف ان عمه اذا ما قرر ان الكلب غير ذي نفع فانه لن يتراجع أمام اي اعتبار انساني او عاطفي... وتأكد انه لن يستطيع ان يصرف عمه عن عزمه وان غاية ما يستطيعه هو ان يبعد الكلب عن عمه ويحتفظ به في مكان بعيد عن المنزل حيث يقدم له الطعام ويرعاه .

وفي ظهر اليوم التالي راى لوك عمه يسير نحو المنزل عائدا من الطاحونة وبرفقته « سام كارتر » احد العمال الذين يستخدمهم في نشر الخشب ، وهو رجل ابله قبيح الخلقة ، مخبل الطهر يناهز الستين من عمره ... ذو لحية رمادية ويرتدي لباس العمال الأزرق ، وهو قلما يتحدث الى احد من الناس . وقد لاحظ لوك وهو يشاهدهما من شرفة المنزل ان عمه

قدم لسام سيجارا فتناوله ودسه فى جيبه ، ولم يحدث من قبل ان قدم العم هنرى سيجارا لسام فى اى وقت من قبل ، او حتى بعيره اقل اهتمام —

وبعد تناول طعام الغداء طلب العم هنرى الى لوك فى شىء من التراخى وعدم الاكتراث ان يركب دراجته ويذهب الى المدينة لشراء بعض التبغ فقال لوك :

« سأحد دان معى »

واجاب العم هنرى : « خير لك الا تفعل ،لأن هذا سيؤخرك بضع ساعات وانا أحوج ما أكون الى هذا التبغ »

وكانت لهجة العم هنرى غاية فى البساطه بحيث حاول الا يشك فى أنه يرغب فى ابعاده عن المنزل وحسب ، هذا الى انه لم يملك الا تفهيد رغبة عمه ، وهو الذى لم يحسر قط على معارضته فى اى شان من الشئون . ولكنه حين ركب دراجته وانطلق الى المدينة ، سار بمحاذاة المجرى وقطع ربع ميل أو نحو ذلك وهو لا يزال يفكر فى ذلك السيجار الكبير الذى أعطاه عمه « لسام كارتر » .

وانحدر مع الطريق على مهل متعمدا مهموما ، ثم ترجل من على دراجته ووقف هناك يفكر فى حيرة وارتباك تحت أشعة الشمس المحرقة . — ان كارتر رجل مجبور لاضمير له ،ولايمكن ان يشعر بعطف على الكلب . وعندما ساورته هذه الأفكار لم يستطع ان يتقدم خطوة قبل ان يتأكد من ان الكلب سوف لا يناله سوء اثناء غيبته، وكان يرى منزله بسهولة هناك على الجانب الآخر من الحقول .

وترك دراجته فى حفرة ، واخذ يعبر الحقل تلى يقترب من المنزل بحيث يستطيع « دان » أن يسمع صفيره . ووقف على مسافة خمسين خطوة من المنزل واخذ يصفر وينتظر ، ولكن لم يبد هناك ما يدل على وجود الكلب... قد يكون نائما أمام البيت أو بالقرب من الطاحون فلم يسمع صفارته الخافتة !! وطال لوك يصفر دقائق لا يعرف ماذا يفعل ، ثم قرر الرجوع الى الطريق ،حيث ركب دراجته وسار الى المكان الذى يلتقى فيه النهر بهذا الطريق ، فهناك يستطيع أن يترك دراجته بين الأشجار ويتقدم صوب المنزل والطاحون دون أن يراه أحد .

وسار مع النهر نحو مائة ياردة ، ووصل الى المكان الذى ينحنى فيه النهر انحناءة شديدة أمام المنزل ، فاخذ قلبه يدق دقات شديدة متلاحقة وشعر كأن ساقيه لا تقويان على حمله ... لقد رأى الزورق يتجه الى أعمق مكان فى المجرى ، ورأى سام كارتر والى جانبه الكلب النمس .

كان الرجل المحبور ذو اللحية واللباس الأزرق يدخن السيجار ويمسك بطرف حبل سميك التف طرفه الآخر بعنق الكلب الذى اقعى بجانبه فى دعة وود يلعق بلسانه الأحمر اليد التى تمسك بالحبل .... رأى ذلك كله كأنه حلم مجنون ،ولكنه حين صاح بأعلى صوته : « دان .. دان.. تعال » قفز الكلب مسرعا الى الماء ، وعندئذ ترك سام كارتر الحبل من يده اليسرى ، وكان فى نهاية الحبل حجر

صعد الفتاء سام الى الماء لساعته ... وصاح لوك في صوت محموم

« بالله لا تفعل ، لا تفعل » ولكن صيحاته وصلت بعد فوات الوقت... وحملق كارتر بعناء في الجانب الآخر من النهر ثم أحنى رأسه وأعمل مجدافيه بسرعة في الماء صوب الشاطئ.

كان لوك يراقب الكلب وهو يقفز الى الماء ،ويرى ساقيه الخلفيين وهما ترفسان الماء رفسات متتالية بائسة فأخذ يتحسر في مرارة ويهتز جسده اهتزازا شديدا كان شطرا هاما من حياته الخاصة فيما بين منزله والطاحون قد تمزق وافلت منه الى الأبد ... ولأمر ما لايدري كنهه كان يدور في عقله أثناء مراقبته للكلب... كانت يده تبحث دون وعي في جيب معطفه عن مدينته التي يحملها اسما ذهب ... ثم يفتح سلاحها ، ويسرع بخلع سترته ويرمي حذاءه وهو يتمتم ويدعو الله أن يرحل سام كارتر عن هذا المكان بسرعة .

واستجابت السماء لدعائه البريء فبلغ عامل الطاحونة البعيض الى الشاطئ في نحو دقيقة ثم عاب في منحنى النهر بالقرب من الطاحون اذ كان يتوجس من تتبع العدو له ،ولكن عيني الصبي لم تغفلا لحظة عن القمة التي اختفى فيها الكلب ، فاسرع بالقاء نفسه في الماء ، وكانت أشعة الشمس تنعكس على جسده النحيل ، وكانت عيناه تشعان بالخوف والقلق وهو يغوص الى الأعماق ، وسرعان ما اعتاد الرؤية تحت الماء الأزرق وبين الصخور الصفراء وشعر برئتيه تضيقان بالتنفس وتؤلمانه ، ثم رأى ظل كلبه يطفو في نهاية امتداد الحبل ، فهجم بعدوانية وقطع الحبل ، ورفع الكلب بذراعيه المكدودتين واخذ يدفعه أمامه حتى بلغ الشاطئ. ... وكم كانت حيرته وفجيعته حين وجده لا يبدي حراكا.. كان كتلة جامدة ، وهنا رأى أن يقوم بدور رجال الانقاذ فسحب الكلب الى منبسط من الأرض فأفرغ الماء من جوفه وعالجه بالتنفس الصناعي مدة طويلة حتى تحركت عيناه ودبت فيه الحياة .

وناداه لوك بصوت رقيق مستعطفا «هيا ، هيا ياصديقي المحور» وتحرك الكلب ، وفكر قلب لوك في صدره من شدة الفرح وأخذ يتمتم « انك لاتستطيع حتى أن تموت ياداان ! لاتستطيع ! لا تستطيع ... وانا لا استطيع أن اتركك تموت ياصديقي» وظل لوك يفرغ الماء من جوفه ويعاونه بالتنفس الصناعي حتى عاد الكلب الى حالته الطبيعية ،فاخذ يتمتم في حبور « انك حي ياداان ... هيا بنا يا صديقي »

وسعل « دان » فجاة وحرك رأسه، وفتح عينيه العنبرية وتبادل مع صاحبه النظرات ، ثم تمطى عدة مرات ، واستطاع في النهاية أن ينهض فتكاسل ونهض هرة عليلة لينفض الماء عن جسده ، ثم التفت الى لوك واخرج لسانه الأحمر وأخذ يلعق وجهه بنشاط .

وقال له لوك : « ارقد ياداان » .

ورقد لوك بجوار الكلب ، واغمض عينيه ودفن رأسه في فراء الكلب المبلل، وقد شعر بآلام شديدة في ذراعيه

وسافيه بعد ان انقذ صديقه ، ثم قال له بصوت رقيق وهو ينهض لاحضار ملابسه التي تركها على الشاطىء « يجب ان نبقى هنا » وعاد لوك بملابسه فارتداها وهو يتمتم « افضل من الخير الابتعاد عن هذا المكان ، انهض الآن يا صديقي لنتصرف » وسار مع الكلب موغلا في الحشائش الكثيفة الطويلة حتى أصبح على مسافة ثمانين ياردة من المكان الذي خلع فيه ملابسه ،حيث قبعا معا يتمازحان . ولبثا لم يلبثا طويلا حتى سمع صوت العمة هيلين تنادي « لوك ، لوك ، تعال يالوك »

وهمس لوك قائلا : « لا تتحرك يادان » ومرت لحظة قصيرة ، ثم سمع العم هنري ينادي « لوك ، لوك » ثم انحدر الى المر ، وكان لوك يراه بسهولة بجسمه الضخم وهو يضع يديه في خصره يمينا ويسارا ، ثم لا يلبث أن يرجع ادراجه الى المنزل . وبينما كان لوك يرقب اشعة الشمس المنعكسة على ظهر عمه ، انتابته الطمأنينة التي شعر بها حين أصبح الكلب في حوزته فتركته آمنا الى نوع من اليأس العميق اذ أدرك ساعتئذ أن عمه وان صفح عنه لانقاذه الكلب من الغرق فانه لن يغفر له احباط الخطة التي رسمها ، ولا بد سيفكر في طريقة أخرى يتخلص بها من الكلب في يوم قريب ، كما يتخلص دائما من أي شيء لا يرى فيه فائدة أو يكلفه بعض المال . وحين انطلق على الأرض وأخذ يراقب السحب التي تتحرك بطيئة من فوقه انتابه الخوف ، فهو لا يستطيع العودة الى المنزل ولا يستطيع ترك الكلب في الغابة دون أن يربطه الى شجرة ، والا فلا بد أن يلحق به مسرعا .

وهمس في حزن وأسى : « لست أجد مكانا تأوي اليه يادان ، حتى لو تسكعنا في الطرقات ، فسيرانا الناس»

ولكن « دان » كان مهتما في تلك اللحظة بمراقبة فراشة تحوم فوقهما. ورفع لوك رأسه ، وتطلع الى المنزل من خلال الاشجار ، ثم التفت الى الناحية الاخرى حيث البحيرة الفسيحة الزرقاء ، ثم عاد الى رقدته الأولى وهو يزفر حيرة وكمدا . وظل كذلك عدة ساعات حتى توقفت الطاحونة عن الضجيج وخمدت أصوات الآلات والعمال ، وحتى انحدر قرص الشمس الى الغروب .

وأخيرا قال لوك : « حسن ، لن نستطيع البقاء هنا أكثر من ذلك ، ولابد لنا من الابتعاد عن هذا المكان قدر ما نستطيع » ثم أخذ يزحف بين الحشائش مبتعدا عن المنزل حتى أصبح بمنأى عن العيون بعض وقت يجري عبر الحقل حتى بلغ الطريق المؤدي الى المدينة .

وكان الكلب أثناء الطريق بين العينة والعينة مندهشا لسير صاحبه في هذا الطريق بحر عدميه من التعب والاعياء . وكان لوك اراد ان يشرح له الموقف فتمتم قائلا : « اسى في حيرة يادان ، ويبدو انني لم أوفق بعد الى مكان آمن اضعك فيه » .

عندما بلغ لوك منزل المستر كيب رآه جالسا في الشرفة فتوقف عن السير ، وتمنى لو ان مستر كيب العجوز

استضافه مع كلبه ليستفداه فى رعاية بقراته الأربع وحراستها فى المساء . واخذ يطلع فى وجه الرجل العجوز الجالس فى الشرفة ليتأكد انه لم يخطىء فى معرفه الرجل ، ثم قال فى لهجة مضطربة : «ان من لا يعرف قدرك يادان لابد أن يكون مصابا بالعمى والصمم .. هيا بنا يادان » ثم فتح باب الحديقة بكل ما أوتى من شجاعة ، ولكنه سرعان ما شعر بالخجل .

وناداه مستر كمب من أعلى الشرفة « مرحبا يابنى ، ماذا بك ؟ » وكان مستر كمب رجلا نحيلا صلب العود يرتدى قميصا متعدد الألوان ، أشيب الشارب مشعث الشعر ، محمر البشرة ، ولكن منه تنبعث طمأنة ومودة .

وسأله لوك حين اقترب من مكانه بالشرفة : « هل استطيع أن اتحدث اليك قليلا يامستر كمب ؟ »

« نعم ، تحدث كما تريد يابنى »

« أريد أن اتحدث اليك بشأن دان ، انه كلب عظيم ، واعتقد أنك تعرف عنه بقدر ما اعرف انا ، فهل تستطيع ان تحتفظ لى به فى منزلك ؟ »

« ولماذا أحتفظ بدان هنا يابنى ؟ »

فقال لوك وقد عراه الاضطراب وتعثرت الكلمات على لسانه :

«حسن ان عمى لا يريد الاحتفاظ بدان فى منزله بعد الآن ، ويقول انه أصبح عجوزا » ثم أخذ يرتجف وهو يروى بقية القصة ..

وقال مستر كمب فى بطء : « لقد فهمت . فهمت كل شىء» ثم نهض واتجه ناحية الكلب ثم جلس وأخذ يربت رأسه وهو يقول : « لا شك ان دان أصبح مسنا يابنى » ثم اضاف : « ولابد أن تتخلص ان آجلا أم عاجلا من كل عجوز كهذا، وعمك هنرى يدرك هذه الحقيقة. فهو لا يستحق الاحتفاظ به بعد الآن »

« ولكنه لا يأكل كثيرا يامستر كمب .. انه يتناول وجبة واحدة فقط طوال النهار »

فقال مستر كمب : « لا أود أن تظن فى عمك بالوك القسوة وقلة الشعور ، بل انه رجل لطيف .. ولكن ربما يكون رجلا عمليا الى حد ما » ..

ووافقه لوك على رأيه ، ولكنه كان فى الواقع ينتظر ان تكشف هذا الرجل العجوز عن شىء من نواياه. وتابع الرجل حديثه قائلا :

« يمكنك أن تقدم له اقتراحا عمليا»

« انى ، انى لا اعرف ماذا تعنى يا سيدى »

« فقال مستر كمب وهو يبتسم . « اقتراحا شبيها بالاقتراح الذى حثت نعرضه على الآن ، وهو حراسة بقراتى اثناء نزهتها المسائية ، فان فعلت ذلك لى تحتاج الى ان اذهب اليه معك ، ولنفترض الآن انى سأمنحك خمسة وسبعين سنتا فى الأسبوع ، فهل ستصحب بقراتى الى النزهة كل مساء ؟ »

« لاشك فى هذا يامستر كمب ، انى راغب فى القيام بهذا العمل فى كافة الظروف »

« حسن يابنى ، انه عمل شاق ، وسأرشدك الى ما يجب عمله .. ارجع الى عملك وقل له قبل أن ينفجر بتمزيقك أنك جئت اليه تحمل اقتراحا « عمليا » قل له ذلك كرجل ناضج ، قل له انك مستعد لدفع خمسة وسبعين سنتا فى الأسبوع فى مقابل الاحتفاظ بالكلب »

فقال لوك فى ضجر : « ولكن عمى ليس بحاجة الى خمسة وسبعين سنتا يا مستر كمب »

ووافقه مستر كمب على ذلك قائلا : « انه ليس بحاجة الى هذا المبلغ بطبيعة الحال ، ولكن هذا لا يعدو أن يكون مبدأ وحسب » ثم أضاف : « كن واثقا من هذا يابنى ، وتذكر انه لا يحقد على الكلب فاذهب اليه ، واخبرنى بالنتيجة التى تصل اليها » ثم قال وعلى وجهه ابتسامة هادئة : « انى أعتقد — وفق معلوماتى عن عمك — أنك ستنجح »

فقال لوك : « سأحاول ، واشكرك كثيرا » لم يكن لوك يؤمل خيرا فى مهمته وان كان يعتقد أن مستر كمب رجل مسن مجرب ولا يمكن بحال ان يخدعه ، غير انه لم يصدق فى نفس الوقت ان خمسة وسبعين سنتا فى الأسبوع تكفى لاقناع عمه بالاحتفاظ بكلبه العزيز . ونادى لوك كلبه فى بطء واتجه الى المنزل وقد غامره الخوف واليأس .

وبينما كانا يسيران فى الممر سمع زوجة عمه تصيح من نافذة مفتوحة : « هنرى ، هنرى تعال تحق السماء . لقد عاد لوك بالكلب »

ووقف لوك على مسافة عشر باردات من الشرفة وانتظر فى شىء من الاضطراب خروج عمه من باب المنزل . وخرج العم هنرى مندفعا ، ولكنه حين رأى الكلب مع لوك تسمر فى مكانه وشحب وجهه وفغر فاه مندهشا ، ثم قال فى صوت حقيض :

« لوك .. لقد كان حول عنق هذا الكلب حجر ثقيل !! »

وقال لوك : « لقد أخرجته من المجرى »

وقال العم هنرى وقد ذهب عنه شحوب لونه تدريجا : « آه ، آه !! لقد أخرجته ، أليس كذلك ؟ » .. ما كان ينبغى أن تفعل هذا ، فانت تعلم انى طلبت من سام كاوتر أن يتخلص من الكلب »

وحاول لوك الا يثير عمه ، وقد استعاد شجاعته عندما ظهرت العمة هيلين ووقفت بجانب زوجها وقد بدا فى عينيها كثير من العطف والرقة ، فقال : « امهلنى دقيقة واحدة فقط ، لأنى أريد أن أعرض عليك حلا عمليا يا عم هنرى »

فسأله العم هنرى وكان لا يزال مغضبا : « ماذا ؟ »

فأجاب لوك بسرعة : « حلا عمليا .. فانا أعرف أن دان غير جدير بالاحتفاظ به الآن ، وانه لا يساوى شيئا بالنسبة لأحد سواى أنا فقط ، ولهذا فانى سأنقذك خمسة وسبعين سنتا كل أسبوع نظير الاحتفاظ به »

فسأله العم هنرى : « ماذا تقول يالوك ؟ ومن أين لك الخمسة والسبعين سنتا هذه ؟ »

« سأذهب كل ليلة لأعود بقرات المستر كمب من الحقل »

وقالت العمة هيلين مستغطة « بحق السماء ياهنرى دعه يحتفظ بالكلب ! » ثم اسرعت بدخول المنزل.

وناداها العم هنرى قائلا : « لا احب سماع مثل هذا الحديث انه يثيرنا » وكان يرتعد من شدة الانفعال ، واستولى عليه اليأس وبدا كمن انهارت آماله ، وسار نحو مقعده المعتاد فى تراخ وهو يقول : « حسن ، احتفظ بالكلب » ولكنه كان خجلا من اظهار استسلامه ، او الكشف عن استحالته لبداء العاطفة الانسانية ، وحاول فى يأس ان يسترعذا الشعور باشياء اخرى كمراعاة الذوق والحرص على تدريب الطفل على الاستمساك بالأهداف العملية فى حياته . وظل يفتر فى مقعده دون اكتراث ثم انتصب فى النهاية وقال ببطء : « انى اميل يا لوك الى الأخذ باقتراحك » .

« شكرا ياعم هنرى »

« لقد وافقت على اقتراحك لأنى واثق من أنك ستتعلم شيئا جديدا مما حدث »

« حسن ، ياعم هنرى »

« سوف تعرف ان الاحتفاظ باشياء تافهة يكدد اذكى الناس كثيرا مما كسبوه بجهدهم وعرقهم »

« انى لا اهتم بذلك ياعمى »

« حسن ، هذا شيء يجب ان تدركه ، ولابد ان تدركه فى يوم ما ، لانك لاشك تحمل بالوراثه النزعة العملية التى احب ان اجدها فى كل صبى ... لا ياس ، لا ياس ، ياعمى »

قال ذلك ثم ابتسم بارتياح وانصرف الى المنزل .

وهمس لوك وهو يلتفت الى دان : « حسن ، ماذا تعرف عن ذلك ياداني؟ »

وبينما كان جالسا على سلم الشرفه وكلبه بالقرب منه سمع عمه هنرى يتحدث الى زوجته وشعر بحزن عميق وتهلل وجهه فرحا ، ولكنه ـ مالبث حبوره هذا أن تحول الى تفكير عميق واعجاب بالمستر كمب الذى استطاع أن يفهم طباع عمه على حقيقتها ، وتمنى أن يصبح فى يوم ما فى مثل حكمة المستر كمب وحصافته وطريقته فى معاملة الناس .. وقال فى نفسه ان نوع ذلك ليس بالأمر العسير ، مادام قد استطاع أن يعرف اشياء كثيرة عن عمه كان والده يريده أن يعرفها

وعندما انحنى على عنق دان يقبله اخذ على نفسه عهدا ان يحتفظ دائما بقدر من المال يستطيع به ان يحتفظ بالأشياء العزيزة الثمينة ، ذات القيمة الحقيقية التى لا يعبأ بها الناس « العمليون » فى هذا العالم المادى .